

إستراتيجيات تأويل " الظاهرة الطللية " عند عبد القادر فيدوح

*Strategies of hermeneutics " the ruins phenomenon according to Abdelkader Fidouh*

أ. د. جمال شوالب  
جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة  
( الجزائر )  
d.choaleb@univ-skikda.dz

ط. د / حسين زروال\*  
جامعة الإخوة منتوري- قسنطينة 1  
( الجزائر )  
hocine.zeroual@doc.umc.edu.dz

| ملخص:                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                 | معلومات المقال                                                                                                                       |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| تتناول هذه الورقة البحثية بعض جوانب الممارسة التأويلية عند الناقد الجزائري " عبد القادر فيدوح "، من خلال كتابه: " القيم الفكرية والجمالية في شعر طرفة بن العبد "؛ الذي تعرّض فيه إلى " الظاهرة الطللية "؛ باعتبارها تصوّراً وجودياً مركزياً، يعبر عن خصوصية الكيان العربي؛ في تفاعله مع العالم، وفي نظرتة إلى الإنسان والحياة. وذلك بهدف التعريف بتأويلية " عبد القادر فيدوح "، وإبراز إستراتيجيتها ومركزاتها المنهجية، وكذا تثمينها، ووضعها موضعها المشرف على مستوى الساحة النقدية العربية المعاصرة. | تاريخ الارسال: 2024/ 12/17<br>تاريخ القبول: 2025/ 05 / 27<br><b>الكلمات المفتاحية:</b><br>✓ التأويل<br>✓ الطلل<br>✓ عبد القادر فيدوح |
| Abstract :                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            | Article info                                                                                                                         |
| <i>This research paper examines the interpretative approach of the Algerian critic Abd-el-Kader Fidhouh as presented in his book Intellectual and Aesthetic Values in the Poetry of Tarafa ibn al-Abd. In this work,</i>                                                                                                                                                                                                                                                                              | Received 17/12/2024<br>Accepted 27/05/2025                                                                                           |

*Fidhouh explores the "Ruins Phenomenon," viewing it as a central existential theme that embodies the Arab world's distinctive identity, in its connection to the universe, and its perspective on humanity and life. The study highlights Fidhouh's interpretative methodology, focusing on its strategic and methodological underpinnings while positioning it as a significant contribution to contemporary Arab literary criticism.*

#### **Keywords:**

- ✓ The hermeneutics
- ✓ Ruins
- ✓ Abd-el-Kader Fidhouh

#### **1. مقدمة:**

سجّلت التجربة النقدية الجزائرية المعاصرة حضوراً نوعياً لافتاً على مستوى الساحتين النقديتين: المغاربية والعربية؛ وما كان لها ذلك لولا إقبالها الواعي على المناهج النقدية الغربية الوافدة؛ عبر مثاقفة منتجة، تبرزها فعالية الروابط الجغرافية والتاريخية والثقافية بين الجزائر وأوروبا، وبخاصة القطر الفرنسي؛ باعتباره قطراً مؤسستياً سبقاً إلى فعل التنظير في مجال العلوم الإنسانية، وما ارتبط بها من: الأدبيات والنقد، والفنون عموماً.

ومن دلائل هذا الحضور النوعي إسهامُ النقاد الجزائريين المعاصرين في إدخال النظريات النقدية الغربية المستحدثة إلى ساحات النقد العربي وميادينه، والعمل على تقريب مختلف منطلقاتها ومرتكزاتها المنهجية، وتيسير مفاهيمها ومصطلحها، لتمكين المتلقي العربي – أكان ناقدًا مختصاً أم طالبَ علمٍ مهتمّاً – من فهمها وتمثّل مناهجها، فيما يزاوله من ممارسات النقد الأدبي بتوجهاته المختلفة.

وذلك من خلال ما قدّمه النقاد الأكاديميون الجزائريون المعاصرون من جهد التأطير والتأليف فيها، علاوة على فضل إبانته معالجة وتطبيقاً؛ خدمةً للمتلقي العربي، سواء على مستوى الجامعات الجزائرية المحلية، أم على مستوى الجامعات العربية الأخرى. ومن هؤلاء النقاد الأكاديميين الجزائريين "عبد القادر فيدوح"، الذي عمل أستاذاً بـ "جامعة أحمد بن بلّة" بـ بوهران، قبل أن ينتقل إلى "جامعة البحرين" سنة 1995، فـ "جامعة قطر"؛ من سنة 2013 إلى سنة 2021. وقد كلّل مسيرته الأكاديمية بإنتاج نقدي غزير؛ شَمَلَ خمسة وأربعين كتاباً – ما بين تأليف منفرد، وتأليف مشترك – وما يقارب المائة والخمسين بحثاً؛ تقع كلها في النقد الأدبي وتطبيقاته، وتخص على الصفة الغالبة "النظرية التأويلية" وآلياتها المنهجية، والتي تمثل نزوعاً رئيساً في منجزه النقدي؛ ممّا يضعها موضع "المشروع"، الذي يسعى "فيدوح" إلى أن يستكمل حلقاته؛ طلباً لهويّة نقدية تميّزه عن غيره من النقاد العرب المعاصرين.

ولعل هذه المقالة الموسومة بـ "إستراتيجيات تأويل الظاهرة الطللية عند عبد القادر فيدوح" تكشف عن بعض آليات المقاربة التأويلية عند "فيدوح"، وعن أهم الجوانب الاعتبارية المتعلقة بإستراتيجيته فيها. وتتمحور إشكالية هذه الورقة البحثية حول جملة استفهامية أساسية؛ هي كما يلي:

ما هي أهم مسوغات التأويل ومبرراته التي اعتمدها "عبد القادر فيدوح" في بناء إستراتيجيته التأويلية للظاهرة الطللية؟ وما هي أهم الآليات الإجرائية التي اتبعها في عرض موقفه التأويلي منها، وتحديد مستوياتها الدلالية الممكنة؟ ثم كيف استطاع هذا الناقد "المؤوّل" أن يعاضد بين متطلبات التأويل وأدواته من جهة، وبين ما تستدعيه نزعة "التفلسف" الغالبة عليه؛ من: روح التأمل ودقة المصطلح، واستقلالية الطرح مع امتداد الإثارة فيه، على هدوء التناول وتأنّيه، من جهة أخرى؟ وإلى أيّ مدى التزم "فيدوح" بمقولات التأويل ومرجعياته في سياق تأويله للظاهرة الطللية؛ وبخاصة آراء وأطروحات "أمبرتو إيكو" / Umberto Eco "التأويلية"؟ وهل يصحّ بالمنتهى أن نعدّ "عبد القادر فيدوح" على رأس "الاتجاه التأويلي" في التجربة النقدية الجزائرية المعاصرة؟

هذا؛ وتوسّلنا بـ " المنهج الاستقرائي " في تتبع مسار تأويل الظاهرة الطللية عند " عبد القادر فيدوح "؛ وذلك بهدف الوصول عبر الملاحظة فالوصف فالاستنتاج إلى نتائج كلية، تقبل التعميم؛ وتعرّف بتأويلية فيدوح "، وتبرز مقوماتها ومرتكزاتها المنهجية كما تُثَمِّنُ جهده النقدي، وتضعه موضعه المشرف بتألق ملفت، على مستوى الساحة النقدية الجزائرية والعربية المعاصرتين - سواء بسواء - من حيث هو إسهام فعليّ مثمر، في بناء صروح الثقافة العربية المعاصرة وتكريس انفتاحها الواعي - في زمن العَوْلَة وتحدياته - على ثقافة [ الآخر / الغربي ] ونقده.

## 2. مدخل / في مفهوم التأويل " Interpretation ":

التأويل مصدر من الفعل [ أَوَّلَ ]؛ ويعني: " الرُّجوع. أَلِ الشَّيْءُ يُؤَوَّلُ أَوَّلًا وَمَآلاً: رَجَعَ. وَأَوَّلَ إِلَيْهِ الشَّيْءُ: رَجَعَهُ " (منظور ا.، لسان العرب، صفحة 171)؛ أي عاد إليه في فهم الشيء وتقديره، واتخذ مقياسا في تفسير معناه، وهو في الشرع: " صرف اللفظ من معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المُحتمَل موافقا للكتاب والسنة " (المنعم ا.، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، 2000، صفحة 175)؛ وفي ذلك اشتراط صريح لمبدأ توافق تلك الدلالة البعيدة المضمرة مع مضمون مرجعها الأول - النص الديني - ومقصده، كما هي الحال عند المؤوِّلة الدِّينِيَّين أنفُسِهِم.

ويرى الفلاسفة المحدثون أن التأويل يختلف من حيث الدلالة عن التفسير؛ كونه يقوم على الدليل الظني؛ مما يجعله أفقا دلاليا مفتوحا، يحتمل أوجها غير محدودة من التقدير والقراءة، بينما يستند التفسير إلى الدليل القطعي فيضيق بذلك حيز الدلالة فيه، وينحصر تعيينا وحسما، كما أنه يزيد على التأويل في اعتماده على الفهم السابقة في ترجيح أوجه القراءة الممكنة؛ كبحا للتجاوز والتعدي. (المنعم ا.، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، 2000، صفحة 175)

والتأويل في عموم الحال هو: " استخلاص المعنى المضمّر انطلاقا من المعنى الظاهر؛ أي - أنه بعبارة أخرى - الانطلاق من المعاني الرامزة بحثا عن المعاني الحقيقة " (الدين س.، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، 2004، صفحة 90)، وهذا ما يجعل من التأويل كفاءة قرائية متقدمة، تتدرج بالتقصي من ظاهر الخطاب إلى باطنه لتتجاوز شبهة المجازي وتعبّر إلى تلك الدلالة القصدية البعيدة والمضمرة، التي تشكل صورة الحقيقة أو تقاربها.

ومنهج التأويل معمول به في مختلف الحقول المعرفية المختلفة، قديمها وحديثها، ظهر عند الغرب الأوائل كموقف تفسيري هيرمونيطيقي، مرتبطا بتطبيقات " التفلسف " وآلياته في مقارنة اللاهوتيات وتحليلها، إذ واجه " النص الديني " المقدس؛ المثخن بالرموز والصور المهمة. ثم تعدّاه إلى النصوص غير الدينية الأخرى - وللغاية ذاتها - كالنص الأدبيّ مستفيدا، من نتائج الدرس اللساني الغربي الحديث، ولعل أخصها علم الإشارة أو السيميائية، مروراً بالمنهاج الأخرى كالبنويّة فالتفكيكيّة، وصولاً إلى نظرية التلقي التي كان لها أثر واضح في معاودة بناء العديد من مفاهيم القراءة ومستوياتها، وكذا اعتبارات ربطها بمقتضيات التلقي النوعي للنص الأدبي وإضافاته سواء من حيث الشكل أم المضمون.

وهو اليوم نزوع طاع؛ موجّه صوب أشكال عدة من الخطابات: كالخطاب الفلسفي، والخطاب التاريخي، والخطاب الفني، وما كان على شاكلتها. كما يُعْنَى - أيضا - بأنماط تحليلية تفسيرية خاصة؛ معمول بها في حقول معرفية محددة: كالسياسة، والاجتماع وعلوم النفس، والقانون، وغيرها...

يَبْدُ أن الذي يعيننا من جملة اهتمامات التأويل ومجالاته " تأويل الخطاب الأدبي الفني "، أو ما يُصطَلَح عليه بـ " القراءة التأويلية النقدية " للنص الأدبي، وهي قراءة تروم - على صفة التدرج - مستويات تفسيرية وآليات تحليلية محددة؛ يتعيّن بمقتضاه مبدأ التأويل ومنتهاه؛ يسميها المؤوِّلة بـ " حدود التأويل " الخمسة؛ وهي: الترجيع إلى الأصل والقياس عليه، وتجاوز ظاهر المعنى، ثم رصد المعنى الباطن وكشفه، فالعبور به إلى آفاق دلالية متعددة ممكنة، وأخيرا تجاوز تلك الدلالات الممكنة إلى " دلالات تقويليّة " فوقها، أقلّ ما يقال عنها: إنها دلالات منقوصة الوجهة، يتراجع عنها القَبُولُ إلى الرفض والإنكار. (السيد، 2012، صفحة 513)

وواضح أن القراءة التأويلية قراءة قائمة على " مبدأ التجاوز "، تترصد دلالة بعيدة مضمرة؛ تقع ضمن تدرجات مجال الثنائية المطروحة: [ الحقيقة ≠ اللاحقيقة ]؛ يحدوها بريق اليقين تارة، وتعترها نزوة الشك تارة أخرى. وهي إلى ذلك تجلّ واضح لموقف تفسيري؛ يأتي في سياق قراءة نقدية معمّقة، تترصد الدلالات المحتملة، امتدادا إلى الدلالات الممكنة بغرض بلوغ أبعاد الخطاب ومسح آفاقه.

ولعل من بين أبرز النقاد العرب الذين تمثلوا مفاهيم وإجراءات التأويلية الناقد الجزائري عبد القادر فيدوح وهو أكاديمي وناقد جزائري معاصر، مثل " التأويل " عنده انشغالا معرفيًا طاغيا، باشره كمشروع نقدي واعد عبر سلسلة من البحوث والدراسات والمقالات العديدة المتميزة؛ تكاد تقتصر في سياق ما تخوضه من التجريب النقدي من حيث المُرتكز والإجراء على القراءة التأويلية دون سواها؛ مع تحيّر واضح إلى النص الشعري العربي؛ باعتباره مدونة تطاوع جرأة التأويل وتجاريه - بحكم التوافق والمناسبة - لما فيها من: التكثيف الدلالي، والثراء الرمزي، والغموض التصويري.

وعليه؛ حاولنا من خلال هذه الورقة البحثية أن نلامس بعض جوانب " الممارسة التأويلية " عند عبد القادر فيدوح وتحديدًا من خلال كتابه: " القيم الفكرية والجمالية في شعر طرفة بن العبد "؛ الذي تعرّض فيه - على منوال المؤلّ - لجملة من القضايا الفكرية والجمالية التي تضمّنها الشعر الجاهلي؛ ك: الموت، والمصير، والخلاص، واللذة، والمثل الأخلاقية، إضافة إلى " الظاهرة الطللية "؛ كونها تمثل موقفا وجوديا خاصا، يجمع بين أبعاد شتى؛ من ذلك الأبعاد الفكرية والنفسية والاجتماعية والجمالية؛ وهذا ما جعل منها تصورا مركزيا متقدّما يعبر عن خصوصية الكيان العربي، في تفاعله مع " العالم "، ونظرته إلى " الإنسان " و " الحياة ".

ومن الضروري بمكان؛ أن يعمد نقادنا إلى معاودة قراءة التراث الشعري العربي بمناهج العصر وأدواته، طلبا لأثرها العميق في فهم الظواهر الشعرية ومحمولاتها؛ سواء من حيث المضمون أم الشكل، ولقدرتها الكبيرة على بناء تصورات ومفاهيم جديدة، تعيد التراث إلى ساحات الحاضر تحيّيًا وتفعيلا، وباتجاه خطّي نحو مستقبل طامح؛ يتحاشى رجعية التأصيل العقيمة. وضمن هذا الإطار الاعتباري حُرّرت هذه الورقة البحثية، التي تتناول بعض آليات القراءة التأويلية عند عبد القادر فيدوح وتكشف عن جوانب محددة فيها؛ متعلقة بإستراتيجية الخطاب التأويلي وأهدافه عنده، وهذا من خلال معالجته التأويلية للظاهرة الطللية في شعر " طرفة بن العبد "، في كتابه المذكور آنفا، ومبدأ ذلك ما يلي:

### 3. التأسيس الثقافي للقراءة التأويلية عند عبد القادر فيدوح:

#### 1.3. النسق الثقافي والتأويل:

إن من جملة ما يتأسس عليه التأويل كنشاط قرأني نقدي معمق في تفسير النص أو الخطاب؛ هو رجوعه إلى تلك الأعراف الثقافية المتوارثة؛ التي أنتجت في سياق المنظومات اللغوية مجال الممارسة والإبداع، والتي تمثل في حقيقة الأمر أنساقا ثقافية؛ تتجاوز اللسانية كنسق قاعدي نحوي، إلى ما فوقها من عوالم الأفكار والتصورات والرؤى. (بوعزة م، 2011، صفحة 74) وهي إلى ذلك أنساق مهيمنة، لها سلطة التوجيه والإيعاز، تتحكم في طبيعة الإبداع الأدبي من حيث الشكل والمضمون، كما تدفع بالمبدع نفسه - شعوريا، أو لا شعوريا - إلى تبني نزعات ومواقف بعينها، لتضعه على عتبة الراهن، وفي نطاق " المشترك الثقافي " المشاع. كما أنها تمثل منظومة فاعلة من التقاليد، تتمظهر في صورة ممارسات ثقافية جماعية متوارثة في مجالات متعددة، ومن بينها مجالات الأدب شعرا ونثرا؛ ذلك لأنها تدخل في دائرة ما يُصطلح عليه بالثقافة الاجتماعية التي تعرف في علم الاجتماع بأنها: « البيئة التي أوجدها الإنسان، بما فيها المنتجات المادية وغير المادية، التي تنتقل من جيل إلى آخر. فهي بذلك تتضمن النماذج الظاهرة والباطنة للسلوك المكتسب عن طريق الرموز؛ والذي يتشكل في مجتمع معين من: علوم ومعتقدات... وعادات، وغير ذلك ». (زكي أ، 1982، صفحة 92)

وضمن هذا المنظور العام راح عبد القادر فيدوح يفسر " المطلع الطللي "، ويستنطق رمزيته المعبرة عن الشخصية الحضارية للأمة العربية (بلوحي، 2004، صفحة 137)، ولاسيما في الممارسة الفنية الشعرية عبر طللية طرفة بن العبد وغيره، باعتبارها تمثل عرفا ثقافيا شعريا متوارثا وسلوكا فنيا مقدّما يُمارَسُ جماعيا، له من المكانة ما ليس لغيره في ضمير الشاعر العربي ووجدانه، فهو عنده دليل الأصالة، وبرهان الفحولة، وبه يكون مبدأ القول وعماده؛ لجلاله وهيبته، ولما فيه بعد ذلك من سعة التكثيف، وقدرته العجيبة على اختزال الموقف والشعور.

وكان هدفه من ذلك كشف مختلف الدلالات الفكرية للطلل، وما يحمله في سياق رمزيته من مواقف وجودية متأزمة، تلخص نظرة العربي للإنسان والعالم، متجاوزا بذلك النظرة الكلاسيكية إليه؛ والتي ترى في الطلل تقليدا شعريا فرضته البداوة العربية لقيامها على الضرب في الأرض والترحال؛ سعيا وراء الماء والكأ، وهو نمط ثقافي حياتي خاص استدعته الضرورة، وعززته الحاجة؛ انسجاما مع دواعي التكيف البيئي والاجتماعي والاقتصادي للمجتمع العربي في فترة ما قبل الإسلام.

### 2.3. الطلل بين الاعتبار " العرفي المحدود "، والاعتبار " الفكري المفتوح ":

إن الوقوف من الطلل بحسب الاعتبارين: العرفي المحدود، والفكري المفتوح – تدرّجا – يرفع الطلل من مستواه القاعدي الاعتيادي كطقس شعري مُلزم، إلى مستوى أعلى؛ يكون فيه الطلل فضاء فكريا محضا يعبر عن موقف فلسفي خالص؛ قائم على مبادئ: الاستغلال، والمجازاة، والمغالبة؛ بين هذه الثنائيات:

[ الولادة ... المصير ] - [ الإنسان = العالم ] - [ الحياة ≠ الموت ] - [ الوجود ≠ العدم ]

مما يتناسب طردا مع ما يعرضه كتابه من الأهداف والغايات، الموسوم بـ: " القيم الفكرية والجمالية في شعر طرفة بن العبد " مدونة ورقتنا البحثية هذه.

وهذا ما جعل المناورة التأويلية لفيدوح تستشرف رؤية جديدة لصورة الطلل، وأبعاده الفكرية والفنية الجمالية والتي طالما عانت من النمطية المقيتة والنظرة الساذجة إليها، لقصور أدوات التلقي والقراءة يومها. ولعل الإفادة التي حققها النقد الأدبي الحديث عامة من تطور العلوم الإنسانية والنفسية والاجتماعية في عصرنا الحديث قد أسهمت - وبشكل كبير - في فتح آفاق القراءة النقدية على عوالم تأويلية استشرافية جديدة؛ بما وفترته هذه العلوم من: الفتوح النظرية، ومناهج القراءة والتلقي الجريئة.

لا أحد ينكر التزام شعراء الجاهلية بالبداية الطللية؛ كمقدمة تدخل في البناء الهيكلي العام للقصيدة العربية الجاهلية كسائر ما يقع في مقدمة القصيدة من البدايات؛ كالبداية الغزلية، أو الخمرية. ولعل " الطلل " يعد من أبرز المقدمات وأولاهها؛ لما فيه من التعالي الرمزي من جهة، ولتقاطعه مع الطبيعة الإنسانية في التعلق بالمكان، وبمن كان فيه من الأحبة والخلان، وما ارتبط به من ذكريات الماضي الجميل وأحزانه، من جهة أخرى.

يقول حتى عبد الجليل يوسف في " كتابه الأدب الجاهلي " ما نصه: « فالشعراء يستحضرون على وقفهم على الأطلال صورة الماضي ... ذلك الماضي الذي يتصل بالزمان والمكان... يجد الشاعر نفسه مدفوعا إلى الحنين إليها فالأطلال ماض، والوقوف عندها تكرار للذكريات وحركة توقف عن الحاضر، لتنتقل منه إليه الماضي، تعيد تشكيله في العمل الفني تشكيلا يمتلك هذا الماضي ويسيطر عليه؛ للتخلص من سيطرة ذلك الماضي على الذات وامتلاكه لها ». (حتى، 2001، صفحة 401)

وهكذا؛ يصير الطلل تعطيلا لزمان الحاضر، عودة إلى نقطة البدء، إلى زمن المغامرة البريء؛ الذي ليس عليه شيء من وحل الحاضر ومُسُوخه، إنه اتصال يتجدد، ورغبة تعاود تشكّلها تباعا عبر الممارسة الشعرية المتكررة؛ بدافع غريزي واع - على خلاف العادة والتوقع - قصد التحرر من اللحظة الحاضرة وجبروتها. إنه يمثل زمكنة مفارقة؛ مثخنة بالبهجة والحزن، مفعمة بنبل الوجدان وحنينه إنسانية الجوهر يرتفع فيها صوت الحوار بين الذات والذات وبين الذات والعالم ويسمو، لكنه على فريدة مصدره يتسع ويمتد؛ ليعرض ذاتا جمعية واحدة تكابد " طبيعتها الإنسانية " الواحدة.

وقد ألزم فيدوج نفسه في معرض موقفه التأويلي للطلل بالعودة إلى الأعراف الشعرية العربية الجاهلية كآلية مجدية، قدمت له ما يحتاج إليه من مسوغات التفسير ومبرراته؛ فعمد إلى جملة من الخطوات المنهجية الضرورية وضعت في نطاق السياق التاريخي لظاهرة الطلل الفنية، وأوقفته عند أهم دوافع القول فيها، وما لها من أبعاد دلالية ممكنة. إذ بدأ فصله الثالث " الإحساس بالضيق في صورة الطلل " بعناصر مقتضبة (فيدوج، 1998، صفحة 55)؛ شملت على الترتيب: " فكرة عن الطلل، قدم مطلع الطلل، رأي القدامى في ظاهرة المقدمات الطللية، رأي المحدثين " (فيدوج، 1998، صفحة 55 ... 68). مضَمِّنا عنصر " قدم مطلع الطلل " بشواهد شعرية طللية لفحول شعراء الجاهلية: كامرئ القيس، وعنترة، وزُهَيْر، وطرفة بن العبد؛ والذي خصّه بعنصر فرعي وسمه بـ: " المحتوى الظاهري لمقدمات طرفة " باعتباره موضوع الدراسة، وقد حققت له هذه الخطوات المنهجية نتائج وأهدافا بعينها؛ أهمها:

- التأسيس التاريخي لظاهرة المقدمات الطللية في الشعر العربي الجاهلي.
- أنَّ المقدمة الطللية " عرف ثقافي شعري "، وتقليد فني جماعي متبع، يُؤخَذُ بالمجازاة والاتباع.
- مثل " الطلل " ضابطا من ضوابط الشعر الرصين، وأمانة من أمارات الفحولة والأصالة الشعرية.
- يدخل " الطلل " كمكوّن أساس في هيكل القصيدة العربية الجاهلية، وفي بنيتها الدلالية.
- تحديد دلالات الظاهرة الطللية في شعر طرفة بن العبد.

والمعلوم أن " طرفة " قد سار على منوال من سبقه من الشعراء في تمثيل " المطلع الطللي " منصرفا فيه إلى وصفية ملفتة واستفاضة مركزة في تصوير أحوال الذات وتقلباتها؛ لذلك كان الطلل عنده كما هو عند غيره من الشعراء عالمًا باهت الألوان والقسمات، ضامرا، بال، كوشم دارس لا تكاد تنكشف شواهده؛ لفرط ما أصابها من نوازل الدهر وويلاته لكنه يهب النفس وهجا وحرارة، فيحملها إليه حملا، وقد أسبغ عليها من عبق الذكرى ما أسبغ، وأضرَم فيها من نار الحنين والتوق ما أضرَم، فاشتد مطلبها وعنت رغبتها في لقاء الحبيب المفقود، والخلِّ المحمود، والربيع المنشود.

وخلاصة " الطلل " عند طرفة ما توضحه الخطاطة التالية: (فيدوج، 1998، الصفحات 55 - 58)

#### الشكل 1: خطاطة تبين الصور المجازية للطلل ودلالاتها الظاهرة عند " طرفة بن العبد "



وفي عموم الحال؛ يرى فيدوج أن " الطلل " وفق هذه الصور السابقة المحققة في كثير من الشعر الجاهلي تقليدا شعريا متبعا أملت على العربي: « تلك الحياة القاسية نتيجة الحل والترحال – من حيث مفهومها الظاهري – في طلب الماء أو الخصب، والارتقاء أيام الربيع والصيف، إذ كانوا من الطبيعي أن يرتحلوا ما داموا لا يسكنون قصورا وأبنية مشيدة، بل كانوا – وفي أغلب الأحيان – يسكنون خياما تشدها الأوتاد، مخلفين بعد هجر هذه الأمكنة ما ظل ثابتا من الأخشاب، والحبال، ودمنة

الدار، والأثافي، والنوى، إلى غير ذلك مما شَخَّصَ من هذه الآثار الخلقية، فلم يبق للشاعر بعد ذلك إلا هذه البقايا التي دفعته إلى التحيز والتذكر، وقد بعد عهده بها مسترجعا ذكرياته - حين رآها شاخصة وهو يقف بها - بعد أن كانت مصدرا للسرور فغدت مبعثا للحزن والأسى». (فيدوح، 1998، صفحة 57)

ومنه؛ يكون فيدوح - بدلالة هذه الفقرة - قد فسّر " الطلل " كمن سبقه من الباحثين؛ عن طريق ربط هذا العرف الشعري بنمط الحياة البدوية العربية الغالب في تلك المرحلة التاريخية، وهو تفسير يستند إلى ما هو ثقافي خالص من الأعراف والتقاليد الفنية الشعرية، والتي تمثل في واقع الحال أنساقا ثقافية طاغية، مُوجِّهة للفعل الإبداعي على المستويين: الشكل، والمضمون. لكن فيدوح وإن وافق هذا الطرح، فإنه لا يراه - على مناسبه - كافيا للإحاطة بكل الأبعاد الدلالية لهذه الظاهرة الفنية المميزة. ولئن قُدِّر للطلل الشعري الجاهلي ألا يُنتَج إلا في نطاق هذا " الثقافي " المتحكّم، وحتى وإن عدّ الشاعرُ الجاهلي نفسه الخروجَ عليه هدرا مقصودا للفحولة الشعرية، وتمردا مرفوضا على مقدس معلوم، وتعديا صريحا على طقس شعري جارٍ؛ فإن ذلك لا يمنع من التوغل فيه والحفر في ثنياه باختراق بنيته اللسانية، وما يقابل تلك البنية من أوجه الاستعمال والتداول ضمن فضاءها الثقافي المرجعي رغبة منه في الوصول إلى ما هو أبعد وأعمق من الدلالات والتأويلات الممكنة.

#### 4. آليات التأويل المعتمدة في قراءة الظاهرة الطللية عند عبد القادر فيدوح:

توسّل فيدوح بعدد من الآليات في سياق عرضه لموقفه التأويلي؛ رجاء استشراف الأبعاد الدلالية الظاهرة والمضمرة للظاهرة الطللية؛ وبيان ذلك ما يلي:

##### 1.4. التأويل باستقراء عناصر البيئة اللغوية للسياق الطللي:

وذلك عبر تتبع الألفاظ المكررة المحيلة على " الطلل "، وما ارتبط بها من المعاني: كالتقادم والبلى، والخراب، والزوال والتلاشي وغيرها ... والتي تدخل فيما سمّاه فيدوح بحيز الخراب؛ وهو حيز مُخْبِر عن كثير من أحوال النفس وتوتراتها، وعمّا يعيشه الشاعر من مظاهر الصراع والتأزم الداخلي، إذ فيه يمارس إسقاطاته النفسية اللاشعورية إفراغا لمكبوتاته، ويقلل بمقدار ما يستطيع من درجة توتره وحيرته، فيمدّه ذلك بشيء من التوازن والصمود، ويحفز فيه الرغبة في الاستمرار بعدما صار الطلل معادلا نفسيا موضوعيا، يقاسم الشاعر عبء الوجود، وتداعياته المتأزمة.

وهي مقارنة تستشرف عمق الظاهرة وفحواها، عرضها الباحث وهو بصدد تحليل مقطع طللي من خمسة أبيات لشاعره " طرفة ابن العبد " موضوع كتابه: (فيدوح، القيم الفكرية والجمالية في شعر طرفة بن العبد، 1998، صفحة 63)

|                                                 |                                            |
|-------------------------------------------------|--------------------------------------------|
| لِهِنْدٍ، بِحِزَانِ الشَّرِيفِ، طُلُولٌ         | تَلُوحُ، وَأَذْنَى عَهْدِهِنَّ مُحِيلٌ     |
| وَبِالسَّفْحِ آيَاتٌ، كَأَنَّ رُسُومَهَا        | يَمَانٍ، وَشَتَهُ رَيْدَةٌ وَسَحُولٌ       |
| أَرَبَّتْ بِهَا نَاجَةٌ تَزْدَهِي الْحَصَى      | وَأَسْحَمُ وَكَأَفُ الْعَشِيِّ هَطُولٌ     |
| فَقَغِيرُنَ آيَاتِ الدِّيَارِ مَعَ الْبَلَى     | وَلَيْسَ عَلَى رَيْبِ الرِّمَانِ كَفِيلٌ   |
| بِمَا قَدْ أَرَى الْحَيَّ الْجَمِيعَ بِغِبْطَةٍ | إِذَا الْحَيُّ حَيٌّ، وَالْخُلُولُ خُلُولٌ |

إن طرفة بن العبد؛ لم يكن مدفوعا - في حقيقة الأمر - إلى الطلل بدافع المجازاة والتقليد فحسب؛ بل كان اندفاعه إليه أيضا لدواعٍ لاشعورية يحدوها صخب النفس العنيد، ويسوقها نداؤها الملح إلى حيث تريد، وإن بدا ذلك في ظاهره عفويا تحفة التلقائية من كل جانب. وعند هذه العتبة يصير الطلل أفقا مفتوحا، مستباحا، مُمْتَلَكًا، يطارد فيه الشاعر الذكرى الماضية، ويستحضر الحبيبة وأيامها السعيدة. إنه يعبر بالطلل عن ذاته، عن كينونته، عن موقف الإنسان الذي يعنيه. وبصورة أدق؛ عن معاناته الوجودية من خلال محاورة صور الخراب والتداعي، التي باتت حقيقة مستبدة قائمة، ترمز إلى حتمية [ الموت / المصير ].

##### 2.4. التأليف بين التأويلات الغيرية في تفسير الظاهرة الطللية:

عمد فيدوح إلى التأليف بين مختلف التأويلات الغيرية السابقة بهدف الوصول إلى تأويل توفيقى؛ كان قد قدمه في سياق العنصر الفرعي الموسوم بـ " نتيجة هذه التفسيرات "، المتعلق بالعنصرين السابقين له؛ وهما: " رأي القدامى في ظاهرة المقدمات الطللية ورأي المحدثين "، مما يدفعنا إلى عدد من الاستنتاجات المهمة؛ منها:

- أن الجنوح إلى التأليف بين الفهم والتأويلات السابقة - قديمها وحديثها - يؤكد نزعة الباحث التأسيسية في سوغ التأويل وتقديره، ويكشف عن حقيقة أن التأويل الوجيه لا يمكن أن يصدر إلا عن سابق؛ أي لا يمكن أن تكون " العدمية " سندا له؛ وإنما يحصل باستثمار ما تراكم من الفهم والخبرات المعرفية السابقة، وبروح علمية تتفاني في احترام الآراء الغيرية وتثمينها.

- يضمن التأويل التوفيقى للباحث الإحاطة بجوانب الظاهرة وأبعادها؛ عبر تتبع الكرونولوجى لمسارها التاريخى، وكذا الاطلاع على جملة العوامل المعرفية والثقافية - الخارجية والداخلية - التي كان لها تأثير مباشر أو غير مباشر في تطور القراءات الطللية وإبراز تحولاتها؛ سواء من ناحيتها الصورية؛ أي صور وجودها وتجلياتها، أو من ناحية تجدد الأدوات والمناهج القرائية المتعلقة بها؛ نتيجة التطورات المعرفية المتعاقبة المسجلة.

- ثم إن التأويل التوفيقى تأويل مطاوع، يسمح بإدراج الإضافات توسيعاً وتعمقاً، مع قابليته لانعطافات تأويلية مؤسسة جديدة، ما لم تُخل بما فيه من طبيعة الانسجام والتوافق، مما يجعل من فرضية تحوّل هذا التأويل إلى منطلق جديد، أو نقطة بدء جديدة، أمراً قابلاً للتحقيق؛ وهذا ما يخرجنا عن دائرة التحجر والتعسف والمصادرة، ويبعده تماماً عن أن يكون عائقاً إبستمولوجياً عقيماً لا شيء بعده، وذلك هو ما سنتناوله في العنصر الموالي.

##### 5. استدعاء التأويلات السابقة في بناء الموقف التأويلي من " الظاهرة الطللية ":

وتبرز هذه الآلية بشكل مكشوف عند فيدوح؛ وهو في معرض بنائه لموقفه التأويلي من الظاهرة الطللية، مما يجعل من هذه المقاربة النقدية مقاربة مؤسسة معرفياً، لها ما يعزز حضورها وأصالة موضوعها في تراثنا الشعري والنقدي العربيين على حد سواء.

والاستدعاء إجراء استرجاعيّ مسّحيّ، يسمح بالكشف - كرونولوجياً - عن مضمون التأويلات السابقة، ومعرفة حدود ما بَلَّغَتْهُ تلك القراءات من الآفاق التأويلية الممكنة؛ طلباً لواحد من الأمرين:

- إمّا تحصيلاً لموقف تأويلي توفيقى جامع؛ يضمن الكفاية، ويسدُّ إلى حينِ رَاهَنَ الحاجة، وقد سبقت الإشارة إليه.
- وإمّا طلباً لموقف تأويلي متجاوز جديد؛ ينقلنا إلى أبعاد وآفاق تأويلية جديدة؛ كنتيجة طبيعية عن تطور مستحدث جديد في مناهج وأدوات القراءة والتلقي.

وتمثّل هذا الاستدعاء التدريجي في المحطات الرئيسة التالية:

- محطة أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري [ 213 هـ - 276 هـ / 828 م - 889 م ] من خلال كتابه " الشعر والشعراء "؛ مُمَثِّلًا عن النقاد العرب القدامى، في فهمهم وتفسيرهم للظاهرة الطللية، ومتعلقاتها المرجعية والدلالية، وذلك من خلال عنصر المدونة المدرج: " رأي القدامى في ظاهرة المقدمات الطللية ". (فيدوح، 1998، صفحة 59)

وتكمن أهمية المقاربة التأويلية لابن قتيبة في كونها وجّهت القراءات الحديثة إلى الأبعاد النفسية للمقدمة الطللية بالرغم من محدوديتها، وضعف إحاطتها بكل جوانب هذه الظاهرة الشعرية الملفتة. (بلوحي، 2004، صفحة 82)

- محطة النقاد المحدثين من مستشرقين وعرب؛ من ذلك المستشرق الألماني " فالتر براونه / Walter Browne " من خلال قراءته التأويلية التي نشرها في مجلة " المعرفة السورية " سنة 1963، والتي مثّلت مرجعية فكرية فلسفية أسس عليها الباحث والدارس المصري " عز الدين إسماعيل "؛ في كتابه " روح العصر / دراسة في نقد الشعر والمسرح والقصبة " موقفه التأويلي النفسي من الظاهرة الطللية (فيدوح، القيم الفكرية والجمالية في شعر طرفة بن العبد، 1998، صفحة 60)، وإن وُجد بعضُ

الاختلاف في تفاصيل رؤيته التأويلية، تميّزه عن المستشرق الألماني؛ الذي ينتصر حيناً إلى التفسير النفسي الصّرف للظاهرة الطللية، وحيناً آخر إلى التفسير النفسي الوجودي لها، بينما يركز عز الدين إسماعيل أكثر فأكثر في سياق توجهه الوجودي على العوامل النفسية في تفسير الظاهرة بأكثر قليلاً أو كثيراً من المستشرق الألماني نفسه؛ أي على الموقف الوجودي النفسي فقط، وهو تفاوت طفيف استغله الباحث " يوسف اليوسف " في كتابه " مقالات في الشعر الجاهلي "، من أجل التفريق بين ما يعرضه الرجلان كموقف تأويلي خاص، على ما بينهما من التقارب والالتقاء. وهو الطرح الذي دفع بعبد القادر فيدوح إلى إدراج هذه المقاربة ضمن المنحى الوجودي النفسي؛ وليس ضمن المنحى النفسي الخالص بمفرده، أو المنحى الاجتماعي ببعده النفسي الصرف. (بلوحي، 2004، صفحة 88)

#### 6.المبحث الثالث / إستراتيجية " التفلسف " في بناء الخطاب التأويلي عند عبد القادر فيدوح:

##### 1.6. فعل " التفلسف " سبيل إلى التأويل:

ينطلق فيدوح في مشروعه التأويلي من مصادرة معرفية ذات شأن، تمثل سمة غالبية في السلوك النقدي الحديث والمعاصر، وهي سمة " التفلسف "؛ ذلك لأن الفعل النقدي في منظور المحدثين بات يجسّد موقفا فلسفيا في جوهره، يقدم من خلاله الناقد رؤية شاملة خاصة به تجاه الإنسان والعالم(سعيد، الاتجاهات الفلسفية في النقد الأدبي، 1987، صفحة 135). ولا يشترط في الناقد أن يكون على شيء من الوعي بهذا النزوع؛ لأن الوعي به غالبا ما يأتي متأخرا عن إعلان الموقف الوجودي الذي يتبناه الناقد فيما يزاوله من الاشتغال النقدي.

ويكفي أن تلقي نظرة سريعة على مؤلفات فيدوح لتدرك طغيان هذا النزوع الفلسفي لديه، بحكم اشتغاله بـ " التأويلية " وتخصّصه فيها؛ بدلالة موضوعاته مجال الاشتغال النقدي؛ التي ركز فيها على محاوره " الخطاب الشعري " الجزائري والعربي، والتي تدخل جميعها في مجال " الدلالة والتأويل "، إذ يصح بمقتضى ذلك أن نجعل " عبد القادر فيدوح " على رأس " الاتجاه التأويلي " في التجربة النقدية الجزائرية الحديثة والمعاصرة.

ومن أهم هذه المؤلفات، بعد مدونتنا المعتمدة: " دلالية النص الأدبي / دراسة سيميائية للشعر الجزائري، أيقونة الحرف وتأويل العبارة الصوفية في شعر أديب كمال الدين، تأويل المتخيل / السرد والأنساق الثقافية، الخطاب الواصف ومؤولاته في الشعر العربي المعاصر المضمّر ومجازاته في الشعر العربي المعاصر، معارج المعنى في الشعر العربي الحديث، إراءة التأويل ومدارج معنى الشعر، الدلالة والتأويل في الفلسفة العربية الإسلامية، الأثر المفتوح / دراسة شعرية في نماذج من القصيدة الخليجية التجربة الجمالية في الفكر العربي".

والتفلسف إجمالا سلوك متعال من التفكير، يطلق على كل نشاط فكري فعّال ممنهج؛ يسعى إلى إثارة المشكلات المعرفية وتفسير الظواهر؛ بغرض الوصول إلى إجابات مقنعة عنها، توافق طبيعة الوجود وحقائقه، وتحيل على ما فيه من الدلالات الممكنة والأوجه الخفية، والكنه البعيد. ويشمل هذا النشاط العقلي جملة من العمليات العقلية الضرورية (صليبا، 1982، صفحة 317)؛ ك: التصور، والتأمل، والتخيل، والترتيب، والتحجج، والرصد، والتتبع، والنقد، والتقييم والتفنيد، والمعارضة، وغير ذلك ممّا هو من مستلزمات هذا الفعل المتقدم؛ والذي يمكّننا في منتهاه - وبدعوى محصلته المعرفية - من التأسيس الحرّ لـ [ الموقف / الرؤية ] مستغلا ذلك الارتباط العضوي الوثيق بين: اللغة باعتبارها كفاءة قاعدية في التعبير الفلسفي، وبين الفكر المُعبّر عنه باعتباره وعيا ومُنْتَجًا.

وعليه؛ يكون فعل التفلسف مسلكا صريحا إلى التأويل، وآلية ناجعة في بلوغ غاياته؛ إنه امتداد ذهني يقظ يتخفى وراء الفعل التأويلي نفسه؛ لما بينهما من التداخل والتشابك، ففعل التأويل كفعل التفلسف؛ من جهة أنه يسعى إلى استخلاص المعاني الكامنة، وإن اختص عموما بالبحث في دلالات الخطاب وأبعاده باستنطاق معانيه الظاهرة؛ أكان هذا الخطاب دينيا، أم أدبيا،

أم فلسفيا (جلال، 2004، صفحة 90). بخلاف فعل التفلسف؛ الذي تتسع دائرة تخصصه لاستيعاب الظواهر اللاخطابية على كثرتها وتنوعها؛ كالظواهر الإنسانية والظواهر الكونية وغيرها...

وفي عموم الحال؛ فإن " التأويلية " في حد ذاتها قائمة على فعل التفلسف، كونها تستهدف في ثنايا الخطاب " الحقيقة " كشفا ومعرفة، مثلما يستهدفها الفيلسوف في خبايا الكينونات والظواهر، وهي حقيقة قديمة خفيت عنا، رغم أننا نعيشها منذ لحظة البدء الأولى، ونمارسها في ما ننتج من الكلام وأشكال الخطابات الرسمية وغير الرسمية؛ ولكن بصورة أكثر غموضا وتمويه، وإيغالا في الرمزية والغربة، مما يستدعي منا تفعيل الإجراء التأويلي طلبا لكشفها وتفسيرها؛ يقول " أمبرتو إيكو " : « إن معرفة أية حقيقة ينبغي لها أن تكون أكثر قدما إنها تقبع بين أطلال الحضارات التي تجاهلها آباء العقلانية اليونانية. إن الحقيقة شيء نعيشنا معه منذ بدء الزمان، غير أننا نسيناها، فلا بد أن شخصا ما قد حفظها لنا، ولا بد أننا غير قادرين بعد على فهم كلمات هذا الشخص ». (إيكو، 1992، صفحة 40).

وبعد؛ يمكن تفسير منشأ هذا النزوع الفلسفي في الذات الناقدة العربية، وتبعيةها للثقافة والنقد الغربيين في عصرنا الحديث؛ بما يلي:

- انفتاحها معرفيا على العلوم الإنسانية المستحدثة وفي مقدمتها: الفلسفة، وعلوم النفس، والتاريخ، وعلوم الاجتماع وعلوم اللاهوت والأديان، وغيرها...

- الإقبال على النظريات النقدية الغربية، بمنهجها ومرجعياتها الفلسفية، وخلفياتها الثقافية المتباينة، وتمثل كل ذلك في ثنايا المشاريع النقدية العربية الحديثة، تأسيسا وتجديدا وتطوعا؛ من ذلك المشروع النقدي التأويلي لعبد القادر فيدوح.

- كتحصيل مبرر، يسد مسد ما نعانیه من العقم الفكري تنظيرا ومنهجيا، ونحن نواجه فراغا نقديا رهيبا؛ بسبب غياب تصور فعلي لنظرية نقدية عربية واعدة، تقوم مقام هذا الوافد الغربي الدخيل.

- استجابة لدواعي " المثاقفة " ومتطلباتها؛ ولسلطة " العولمة " وأهدافها؛ مما يضعنا في خضم " موقف تبعي "، تتراجع فيه جرأة التجاوز، ويتعاظم معه الشعور بالعجز والدونية، تحت وطأة الانهيار والدهشة من [ الآخر / الغربي ] حتى أننا لا نكاد نجد لأنفسنا مهربا محتملا، أو خيارا متاحا؛ نعجل به عتقا من شؤنا، وكيانا فكريا مفقودا.

على أن النقد الجزائريين - والمغاربة عموما - كانوا أوفر حظا في نيل هذه الحصيلة النقدية الغربية قياسا بالنقاد العرب في البلاد المشرقية؛ وبخاصة ما تعلق منها بمنهج الحداثة وما بعدها، على اعتبار العوامل التالية:

- العامل الجغرافي: وقوع القارة الأوروبية في الواجهة الشمالية المقابلة القريبة من الشمال الإفريقي، مع سهولة النفاذ إليها رحلة وهجرة؛ بغرض الدراسة أو العمل، أو لأغراض أخرى تتعدد.

- العامل التاريخي: بحكم الروابط التاريخية التي كانت بين الجزائر وفرنسا، سواء قبل الفترة الاستعمارية أم أثناءها، فالاستعمار الفرنسي [ 1830 - 1962 ] - تحديدا - مكن الجزائري من معايشة الحياة الفرنسية في أبعدها السياسية والاجتماعية والفكرية والثقافية ...

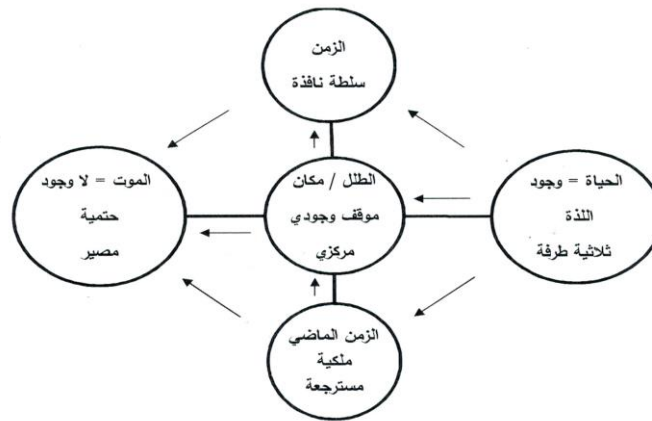
- العامل اللغوي والثقافي: وذلك بامتلاك ناصية اللغة الفرنسية، التي استطاع بها الجزائريون بعد انقضاء الحقبة الاستعمارية من الاطلاع على مضمون الثقافة الفرنسية، ورصد ما فيها من تجليات وكشوفات السبق الأدبي والنقدي والفني؛ لتصدر فرنسا بمعية الألمان مشهدية الدرس الفلسفي الغربي بدءا من " الدكارتية " مع نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، وصولا إلى " اللاتورية " في أيامنا هذه؛ إذ كان لهذا الدرس الأثر الأكبر في توجيه الفعل النقدي الأدبي العالمي؛ من خلال ما طرحه من النظريات النقدية الجديدة، وما ارتبط بها من مناهج القراءة والتلقي المستحدثة.

- البعثات الطلابية الجزائرية إلى الخارج، وبخاصة إلى الجامعات الفرنسية، وفي مقدمة هذه المؤسسات الجامعية " جامعة السربون / Sorbonne " إذ تخرج منها أبرز النقاد الأكاديميين الجزائريين المحدثين؛ أمثال: عبد المالك مرتاض، ورشيد بن مالك. ممن أسهموا بشكل مباشر في إدخال هذه المناهج النقدية الغربية ونظرياتها المرجعية إلينا، وزاولوا تمثلاتها وآلياتها التطبيقية، في سياق تجربة نقدية منفتحة على ثقافة [ الآخر/ الغربي ] وفكره، جعلت من المنجز الإبداعي الجزائري والعربي مدونة تجريب مستباحة؛ يسعى النقاد الجزائريون من خلالها إلى فهم هذه المناهج المستحدثة وتبنيها.

## 2.6. تجليات النزعة الفلسفية في تأويل الظاهرة الطللية:

وذلك من خلال ربط الظاهرة الطللية في بعدها الدلالي بـ " الموقف الوجودي " وامتداداته للإنسان العربي، وهو موقف متصل – بحسب هذه المقاربة التأويلية - بجملة من التصورات والرؤى الخاصة تجعل منه " مفهوما مركزيا " في الواقع " السوسيو ثقافي " للمجتمع العربي، ومعبرا إستمولوجيا ممكنا في محاولة فهم هذه الذات العربية، وكشف حقيقتها، وتسلط الضوء على أشكال تفاعلها مع مكونات العالم الخارجي وعناصره؛ باستشراف عوالم الوجدان والروح. ويمكن أن نعتبر عن هذا التناول الفلسفي بالخطاطة التالية:

الشكل 2: خطاطة تبين الموقف الوجودي وعناصره عند الشاعر العربي الجاهلي



جليٌّ من الخطاطة أن " الطلل " - باعتباره تعبيرا رمزيا متضمنا لموقف وجودي من الإنسان والعالم - يمتد إلى فُهُومات وتصوّرات بعينها، تمثل مجموع العناصر المكوّنة له، وتضعه بمقتضى ما بينها من المغالبة والتدافع في نطاق التّأزم والصراع باتجاه واحد لا يقبل التراجع فيه، يمتد من حالة " الوجود " إلى حالة " اللا وجود / العدم "؛ وهي:

أ. [ الحياة = اللذة / الوجود ]:

إن كان هوس الموت أفضح من أن يحتمل، فإن معالجته بالانشغال عنه وتناسيه أمرٌ ممكنٌ، قد يخفف من وطأته وحدته، ولعل الجاهلي أدرك ذلك ووعاه، فانصرف عنه تعويضا واغتناما؛ ينشد اللذة ويطلبها، مادامت الموت أسرع إليه من هبة الحياة الحاضرة. وشأن طرفة بن العبد في ذلك شأن أكثر شعراء عصره، لكنه اختص عنهم بمذهب يُعرّفه، صرّح به في شعره؛ عزاء لنفس تائهة، واصطبار على محنة سائحة، وخلاص ممكن من جبروت الزمن ورهبة الموت، تُجلّيه ثلاثيته تلك، التي يعيش لها وبها؛ ممثلة في: " المرأة، والخمرة، ومروءة الفارس وشجاعته "؛ والتي تمثل خلاصة فهمه للحياة وتكشف عن موقفه الوجودي المتأزم، وتعيّن مقدار مسافته من حدود التّأرجح، بين ما هو مثالي وما هو واقعي، في نظرته إلى الإنسان والعالم.

ب. [ الموت = المصير / العدم ]:

نظر الجاهلي إلى الموت نظرة واقعية مباشرة، قائمة على مبدأ الاعتراف بـ " محدودية الزمن " وهي نظرة خلت من أي اعتبار ماورائي؛ يشير إلى وجود شيء ما بعد الموت، فالموت في عرف الجاهلي تعني النهاية وكفى، المصير الحتمي الشنيع الذي لا مهرب منه غير الانشغال عنه باغتنام الحياة القصيرة التي نحيها. وهي نظرة أقلقت الإنسان العربي في فترة ما قبل الإسلام، وأربكت وجوده

وأزمته فكان لزاما عليه أن يواجه السؤالين معا: السؤال الوجودي، وسؤال المصير؛ حتى يتمكن من تحصيل "الدافعية" اللازمة في تكريس وجوده باستحقاق؛ تحت طائل المصير ورهبتة. (فيدوح، 1998، صفحة 41)

ويرى فيدوح أن هذه القراءة المتقدمة تعطي للشعر العربي بعدا تفسيريا جديدا؛ يقوم على أساس وجودي؛ أين تواجه الذات سؤالها الوجودي بما تحوزه من سلطة الوعي، وما تتيحه هذه السلطة - ولو نسبيا - من الممكنات السلوكية؛ كحرية الخيار، وإرادة الفعل. (فيدوح، 1998، صفحة 43)

وبناء عليه؛ يتحقق هذا الوجود عبر التفاعل المتنامي بين الذات وما تريده من صور الوجود نفسه، متوسلة بالنضال والمثابرة ولكن مطلبها يظل في نطاق ما ترشحه البيئة الجاهلية الضيقة من أشكال التصور والسلوك، والتي غالبا ما تكون ذات طبيعة مادية أو غريزية؛ كتحصيل الثروة، أو السيادة أو ممارسة اللذة...

إن الخوف من النهاية موتا هو ما يجعل وجود الجاهلي وجودا قلقا مضطربا، خاصة وأنه لا يستند إلى اعتقاد مقابل؛ يسلم باستمرار الحياة بعد الموت، كما هي الشأن في أديان ومعتقدات الأمم الأخرى قبل الإسلام؛ كالوثنية المصرية، والزردتية الفارسية والديانات السماوية السابقة من يهودية ونصرانية، وقبلهما الحنفية الإبراهيمية.

وقد عالج فيدوح "سؤال المصير" هذا تحت عنوان رئيس؛ موسوم بـ "مشكلة المصير" (فيدوح، 1998، صفحة 35)، يضم عناوين فرعية؛ هي: "نظرة العرب القدامى للموت ومقارنتها بالأمم الأخرى، الوضع الديني الإحساس بالفناء عند طرفة، وسائل الخلاص من المصير". منتهاها إلى النتائج التالية:

- الإحساس بالفناء اضطراب وجودي، متأزم، قلق، يلقي بالجاهلي في دوامة التيه والضياغ.

- حتمية الموت مدعاة إلى تحقيق الكمال الإنساني؛ كما يتصوره طرفة بن العبد نفسه؛ الذي يعترف ضمنا بوجود سلطة متعالية متحكمة، تتحكم في الإنسان والكون سواء بسواء.

- الكرم على الذات سمة دالة على ذلك الكمال الإنساني المنشود، وسبيل إلى قهر الإحساس بالموت والفناء، عن طريق

اغتنام فرصة الحياة الوحيدة؛ بتحري اللذة وطلبها، وبذل النفس والنفيس من أجلها.

والحقيقة أن الربط بين الموت والدين له ما يبرره في عموم الحال، كما أن الربط بين فلسفة المصير أو الموت والنزوع الفكري للمجتمع الجاهلي له ما يبرره أيضا؛ إذ ينطلق فيدوح من أن للعرب في جاهليتهم حظا متاحا من هذا النزوع المتقدم؛ بحكم احتكاكهم بالحضارات الحية يومئذ، على خلاف ما يعتقده أغلب الدارسين؛ في أن العرب أمة منعزلة، لا تكابد الفكر ومساراته. وبهذا استطاع فيدوح أن يجد لنفسه محملا تأويليا وجيها مؤسسا على خلفية ثبوت الاتصال الحضاري والثقافي بالحضارات الأخرى؛ مما سمح بنقل الكثير من تلك الجوانب الثقافية والدينية إلينا. (فيدوح، 1998، الصفحات 23 - 24)

كل ذلك يدفعنا إلى القول بـ "هيرمينوطيقا" فيدوحيّة غير معلنة؛ تستنطق الرمزي وتكشف دلالاته وتقرأ الديني بما هو عقلي مُدرّك؛ خارج عن إطار "الدينية" الغامضة، لتقدّم تفسيراً يتلمس مشروعيتها ووضوحه من سياقه الثقافي الموضوعي؛ باعتباره الفضاء المرجع الذي أنتج في نطاقه نص الخطاب. وهو تأويل نستدل به على قدرة العربي الجاهلي في بناء المفاهيم والرؤى، والتي مكنته من تأسيس موقف تأملي فلسفي وجودي خاص به إزاء: الإنسان، والعالم.

ج - [الزمن السلطة ≠ الزمن المسترجع]:

إن الزمن مرادف للدهر في معجمنا الشعري العربي القديم؛ ويعني الخطر المترصد في ضمير الملكة اللسانية العربية؛ إذ يقع في أغلب استعمالاته مضافا إلى: النوازل، والنوائب، والويلات، والهلاك والريب، وغيرها من الألفاظ؛ لذلك مثل جبهة صراع محتدمة مفتوحة، بينه وبين الإنسان لا تتوقف، وهو صراع غير متكافئ واقعي، تكون الغلبة فيه دوما للزمن لا للإنسان، وحال

الإنسان فيه كما قال فيدوح: « أشبه بورقة في يد الزمان، يلعب بها الريح يمنة ويسرة دون التحكم في قوتها ». (فيدوح، القيم الفكرية والجمالية في شعر طرفة بن العبد، 1998، صفحة 47)

وقد وعى طرفة هذه الحقيقة، ورأى وجوده وإن طال وجودا وفتيا محدودا - سماه فيدوح بالوجود المتزامن أو الوجود الفاني (فيدوح، 1998، صفحة 46) - فلجأ إلى تحدّيه باغتنام اللذة، والإقبال على متع الحياة، قبل لحظة التوقف الأبدي أي " الموت "، وهي لحظة زمنية يتوقف عندها " الوجود الفردي "، ويتحقق بها في منظور الجاهليين العقدي " الفناء والتلاشي "؛ أي التحوّل من حالة الوجود إلى حالة العدم؛ لأنها في نظرهم نهاية حتمية محسومة، لا شيء بعدها. (فيدوح، 1998، صفحة 46)

إن الزمن عند طرفة هو زمن الحياة وكفى، وليس الزمن الحقيقي اللاتناهي كما عرفه الفلاسفة المحدثون؛ والذي هو زمن الديمومة الجارية، وإطار الوجود كلّ ذواتا وعوالم، المستوعب لكلّ إرادات الكينونة وأفعالها. إنّه زمن متسلّط نتحاشاه لجبروته، ولا نفكر فيه غالبا لأننا نحيا فيه؛ جاء نقلا عن " معجم صليبيا " قول الفيلسوف الفرنسي " هنري برغسون / Henri Bergson " (1859-1941): « العقل ينفر من كل شيء سيّال، ويجمّد كل ما يتناوله. ونحن لا نفكر في الزمان الحقيقي بل نحيا فيه؛ لأن الحياة تطغى على العقل من كل جانب ». (جميل، المعجم الفلسفي، 1982، صفحة 637)

وطرفة كغيره من الشعراء الجاهليين يحاول التحايل على الزمن بالقدر الذي يستطيعه، فيتوهّم امتلاكه عبر طليلته المنضّدة على رفوف الذاكرة - فردية وجماعية - ويرى في عودته إلى الزمن الطللي تحصيلًا لسلطة مسترجعة. إنها لحظة فارقة بالنسبة إليه، تجسّد تملّصا افتراضيا مؤقتا من جبروت الزمن السيّال، وتشعره بقديسية ماضيه؛ إذ يتوقف عندها الزمن الحاضر مستجيبا لإرادته، فيمتد المكان إليه ويستكين، محمولا على عبق الذكرى، ومزهوا بفيض المشاعر والرؤى ...

إن الطلل وإن كان من ناحية تركيبه البسيط مفهوما مؤلفا من فضاء ومحتوى: الزمان والمكان، والذكرى؛ فإنه في جوهره " حقيقة تصوّريّة "، ولا نعني بالتصوّريّ ههنا التّصوّريّة؛ أي ما يقوم عليه الطلل - باعتباره خطابا أدبيا - من التصوير المجازي المبدع، وإنما نعني بالتّصوّريّ الطبيعة السلوكية للطلل كفعل إنساني؛ من حيث هو سلوك استرجاعي محض، يسمح بتصوّر الماضي على تدرجات الحاضر وامتداداته إلى زمن الاستقبال، فكلّ منا: « يستطيع أن يبعث من عقله صورا لما مرّ عليه من تجارب وأحداث في الماضي؛ ولولا ذلك لانقطعت صلتنا به، وفقد الشعور وحدته، بل وفقد الإنسان ما يكون شخصية في مجموعها، وكان مخلوقا في كل لحظة تمر عليه، ولا علاقة له بمخلوق اللحظة السابقة ». (وهيبة، صفحة 64)

إذن؛ فالطلل - قياسا على هذه الحال - سلوك استرجاعي ضروري، يتأسس على وجود محقق مستمر، متصل بعضه ببعض وليس وجودا متقطعا يتجدّد كل مرة، بل وجود تنمّاه في الأزمنة الثلاث: الماضي، والحاضر، والمستقبل ضمن كينونة مشخصة واحدة، تعي وحدتها الشعورية، وتمارس حياتها في بُعدها الخطي الواحد؛ بكل ما تحمله من التجارب والخبرات ...

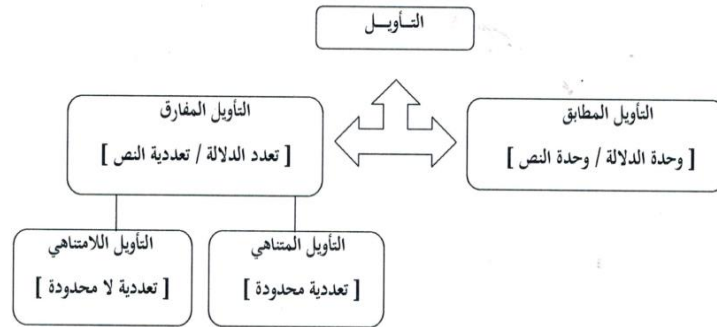
## 7. مستويات القراءة التأويلية للظاهرة الطللية عند عبد القادر فيدوح:

### 1.1. التدرج من المعنى الظاهر إلى المعنى الباطن:

تدرّج فيدوح في مقارنته التأويلية لهذه الظاهرة من المستوى التأويلي الظاهري إلى مستوى التأويل الباطني لها عملا بالمصادرة القائلة: " أن لكل خطاب ظاهرا وباطنا "؛ وتبعا لما قرره خواص العلماء والفلاسفة أمثال " الشاطبي " وغيره، فيما ذهبوا إليه من التأويل في تفسير القرآن الكريم (محمد م.، التلقي والتأويل / مقارنة نسقية، 1994، صفحة 134)؛ والمراد بالباطن - هنا - جملة الدلالات البعيدة المضمرة؛ وهي دلالات تتعدد، إما تعددا محدودا؛ فتجعل من التأويل مفارقة متناهية، وإما أن تتعدد تعددا غير محدود؛ ليصير التأويل مفارقة لا متناهية. على أن التأويل المفارق - وفي الحاليتين - يحيل المتلقي على نص متعدد بتعدد دلالاته؛ أي فهمه وتأويلاته لأنّ الفهم الواحد أو التأويل الواحد لا بدّ وأن يُنتج مع كل قراءة تأويلية جديدة نصا جديدا آخر، وهكذا...

وذلك على نقيض التأويل المطابق القائم على المغالطة القصدية؛ لأنه يوهم المتلقي بأحادية الدلالة السابقة في الوجود على النص نفسه؛ باعتبارها الدلالة الأصلية للشاعر أو الكاتب، والتي قد تحسم أمر التأويل وتنتهي؛ تسليماً بوحدة الدلالة، ومنه بوحدة النص. ثم إنَّ الموقف التأويلي الحقَّ يقتضي منا أن نفرّق - صراحة - بين قَصْدِيَّتَيْن: قصديّة المؤلف وقصديّة النص، وأن نترصد كل ذلك، وقد نتجاوزه بدلالة القرائن والمبررات الممكنة نصائيّة كانت أم سياقيّة. هذا؛ ويمكن أن نعبر عما أسلفنا بالخطاطة التالية:

الشكل 3: خطاطة تبين أنواع التأويل، ومستوياته، وميزاته



المصدر: (بوعزة م، 2011، صفحة 59)

ينكشف تدرج "فيدوح" في المعالجة التأويلية للطلل؛ من خلال انتقاله من مستواها الظاهري المنتهائي؛ والذي تظل قراءاته - على تعددها - محدودة الأفق، إلى مستوى متعالٍ يستهدف ما هو باطني، مفتوح الدلالة، يسمح بالتجاوز، فلا يتعيّن أفقه التأويلي بحدود ما دفعوا لوهم "الحسم" الذي سقّاه "إيكو" بقوله: «إن الأغبياء؛ أي الخاسرين، هم الذين يَنْهَوْنَ السيرورة قائلين: "لقد فهمنا". إن القارئ الحقيقي هو الذي يفهم أن سر النص يكمن في عدمه». (إيكو، 2016، صفحة 39)

ونعني بالسيرورة هنا؛ ذلك التقدم التراكمي المتوالي للدلالة عبر مسارها التطوري، والذي يتجدد باستمرار؛ ويتوالد بعضه من بعض إلى ما لا نهاية - تأسيساً، فإلهاماً فإحالة - ذلك لأن اللغة في منتهائها عاجزة بالفعل عن الإمساك بدلالة واحدة سابقة وفرضها (إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، 2016، صفحة 38)، وهو ذات المبدأ الذي تبناه فيدوح كمنطلق أساس في مشروعه التأويلي - بما في ذلك كتابه مدونة مقالنا - معبرا عنه بقوله: «ما لا ينتهي لا يُعبّرُ عنه إلا ما لا ينتهي». (القادر، المنهج التأويلي / محاضرة مقدمة عن بعد، 2021)

ويتوزّع هذا التدرّج على النحو التالي:

1.1.7. المستوى الأول/الظاهر-المتناهي (فيدوح، القيم الفكرية والجمالية في شعر طرفة بن العبد، 1998، الصفحات 55-60):

وتقابل هذه العناصر: "المحتوى الظاهري لمقدمات طرفة، ورأي القدامى في ظاهرة المقدمات الطللية". وقد سبق وأن تناولناه بالبيان والتفصيل في عنصر سابق؛ هو: "الطلل بين الاعتبار "العرفي المحدود" والاعتبار "الفكري المفتوح".

2.1.7. المستوى الثاني / الباطن اللامتناهي: (فيدوح، 1998، الصفحات 60-66)

ويشمل العنصر: "رأي المحدثين"، والذي أتبعه فيدوح بعنصر على مقدار كبير من الأهمية وهو: "نتيجة هذه التفسيرات" ذيل به فصله الثالث: الإحساس بالضيق في صورة الطلل"، كختام جامع، عرض فيه تأويلاً توفيقياً مؤسساً ووجيهاً، ضمن به إحاطة مقبولة بأهم جوانب "الظاهرة الطللية" حيز اشتغاله؛ اعترافاً منه بأن كلّ تأويل سابق قد يوجّه تركيز الباحث إلى جوانب ودلالات أخرى - قد تخفى عنه - لا نجدها في غيره، وذلك تبعاً لأهداف ومنطلقات المؤول ومرجعياته الثقافية وانتماءاته

المؤسسية، والتي تمثل مجال التباين والفروق بين مختلف هؤلاء الباحثين، وتعكس ما لديهم من النزوع المعرفي المتعدد المتباين، وفي ذلك إثراء للموقف التأويلي، واستثمار فاعل مُنتج لتراكميته.

## 2.7. القراءة التأويلية المفارقة للامتناهيّة للظاهرة الطللية:

وخلصتها - تبعاً لم تضمنته مخرجات الموقف التوفيقي الذي تبناه فيدوح في قراءته التأويلية للظاهرة الطللية عند طرفة بن العبد وغيره - ما تعرضه الخطاطة الجامعة التالية:

الشكل 4: خطاطة تبين الدلالات البعيدة للظاهرة الطللية عند " طرفة بن العبد "، وغيره



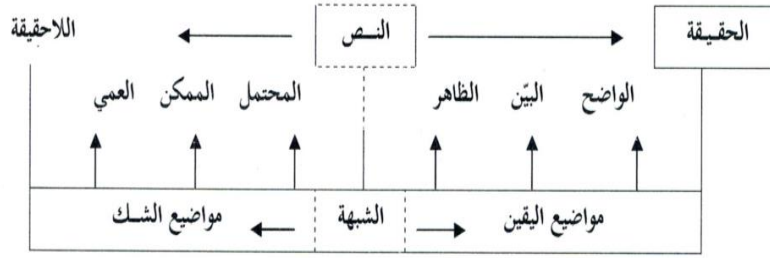
ومنه؛ فإن الطفل - مثلما أشار فيدوح نفسه - ضمن هذا المنظور التأويلي ليس وسيلة غايتها التعبير عن حالة نفسية عارضة، أو نزوة فحولية عابرة، بل هو غاية لا وسيلة في حد ذاته؛ يعبر الشاعر في نطاق فضائها المفتوح عن إحساسه الدائم بقلق وجودي مزمن وبكل ما يصحب ذلك الإحساس الرهيب من هزات التشكيك المزعجة، ونوبات التوتر الحادة المتلاحقة. وبالتالي؛ فهو يعبر - ضمناً - عن موقفه الفلسفي الوجودي المتأزم، إزاء الإنسان والعالم، وعن مصيره الحتمي المجهول الذي يترصده، فيعتمد إلى مكابדתه بروح نضالية متحدية؛ تحدوها رغبة جامحة في اغتنام فرصة الحياة، التي إن أنقضت فلن تعود أبداً.

وفوق ذلك؛ ليس الطفل مجرد " لوحة إظهارية "، أو " مضمة من ذكرى " لزمن مضى؛ يقدم بها الشاعر لقصيدته وإنما هو مدخلٌ إلى دهاليز ذاته المعتمة، ورصدٌ لما في تلك الذات من مستويات: المعاناة، فالتأزم، فالصراع، إنه إسقاطٌ لمكبوتات الشاعر على واجهة ماضيه السعيد، وتعبير منه - وإن كان ذا طبيعة فردية بحكم فُرادة المُنتج - عن مضمون باطني لوعي جماعي يَتَمَلَّكُهُ؛ مما يضعه في نطاق " المشترك الجمعي "؛ الذي تمثل صراعاته وتآزماته وإحباطاته المتكررة وضعا اجتماعيا عاما يسعى المجتمع العربي إلى الخلاص منه وتجاوزه - ما أمكنه ذلك - حتى يتحرّر فينطلق ... (فيدوح، 1998، صفحة 64)

كما أنه يمثل فضاءً مُزْمَكَنًا مفتوحاً؛ يشاكل مفهوم الوطن، ويجسّد انتماءً مكانياً مستمراً على انقطاعه، مشدوداً إلى الذات الماضية بفتيل وجدان مشتعل، وذاكرة محفزة مترصدة، تشتهى لذّة الانبعاث وسحر المعاودة والتماضي، وتمارس في كل لحظات تلك المكاشفة طقوس توالدها العذري (الفضائية ق.)؛ لتنسخ في الشاعر شيئاً من يأس الحاضر، وتمدّه بالأمل الجديد؛ عبر محاوره صامتة، ناطقة بلسان التخاطر بين: الذات، والوجود.

والمعلوم أن " التأويل " عملية: رصد، واكتشاف، وتجاوز؛ تتأرجح - تدريجاً - بين مختلف درجات التأويل النصي الواقعة بين حدّي المجال: [ الحقيقة ≠ اللاحقية ]؛ وبين ذلك ما يلي:

الشكل 5: خطاطة تبين درجات التأويل من [ اليقين - الحقيقة ] إلى [ الشك - اللاحقية ]



المصدر: (بوعزة م.، 2011، صفحة 86)

- الحقيقة: مؤطرة من جميع الجهات، حدودها ثابتة، لا تقبل التجاوز.
  - الحدود الجانبية للنص: قد تُدرك وتتعيّن؛ بينه وبين الحقيقة، وبينه وبين اللاحقة.
  - الحدود المتقطعة للنص: منافذ فوقية وتحتية، تمثل مداخل الشبهة، ومجالا يتداخل فيه الحقيقي مع اللاحقي، فهي يقين يتلبّسه الشك، أو شك يترأى في صورة اليقين.
  - اللاحقة: غياب الحدود فيها مُعَبَّر عن انفلات، أو تَقُول، أو تلفيق، أو تَوَهُّم ...
  - الشبهة: مجال يتوسط يقين الحقيقة والمشكوك فيه؛ السائر - غالبا - نحو وهم اللاحقة.
- واضح ممّا تقدّم أن تأويل فيدوح للظاهرة الطللية قد تدبّر فيه من درجة "الظاهر" إلى درجة "المحتمل"؛ بدليل تركيزه على الدلالات الظاهرة الأكثر بروزا ووضوحا في طللية طرفه، والتي تُعزى - في عمومها - إلى جملة الأعراف الثقافية الشعرية السائدة في جاهلية العرب؛ والتي يُرجّح أن تكون تفسيراً محتملاً مقنعا لهذه الظاهرة؛ وقد تم توضيح ذلك من خلال خطاطتنا الموسومة بـ "الصور المجازية للطل، ودلالاتها الظاهرة عند طرفه بن العبد".
- ثم تقدّم باحثنا - بعدها - صوب درجة "الممكن"، المفتوح دلاليا على كل ما يدخل في نطاق المعقول المتاح استشرافا منه لكَمّ دلاليّ متعدد، سَبَر به أعماق الظاهرة، ولاسّ بمقتضاه بعض أبعادها المرجّحة؛ كما توضّحه على مستوى بحثنا هذا خطاطة "الدلالات البعيدة للظاهرة الطللية عند طرفه بن العبد، وغيره" أيضا.
- والملفت؛ أن فيدوح - وفي أكثر مناسباته التأويلية - يسلك مسلك "إيكو"، موضوعا وآلية؛ بدءا من التركيز على الموضوعات القديمة، وانتهاء إلى أسلوب التأويل وآلياته؛ فالطلل وما ارتبط به من دلالات الموت والمصير مفاهيم وقضايا قديمة متأصلة، متجددة، تأتي في سياق محاولات الحسم المتكررة للسؤالين، القائمين، المستمرين منذ عهد اللّاتين الأوائل حتى يومنا هذا وهما: "السؤال الوجودي" و"سؤال المصير"؛ ولنا في قول سعيد بن بنگراد عند تقديمه لرؤية "إيكو" التأويلية ومنطلقها الأساس الدليل المناسب؛ إذ يقول: «ينطلق إيكو، في معالجته لقضايا التأويل، من تصور بالغ الأصالة والعمق. تصوّر يرى في التأويل وأشكاله صياغات جديدة لقضايا فلسفية ومعرفية موعلة في القدم، فمجلّ التصورات التي عرفها قرننا هذا لا تفسّر إلا بموقعها من "الحقيقة" كما تصورها الإنسان وعاشها، وصاغ حدودها أحيانا في شكل قواعد منطقية صارمة، وأحيانا أخرى في شكل إشارات صوفية واستبطانية؛ لا ترى في المرئي والظاهري سوى نسخ لأصل لا يدركه الحس العادي، ولا تراه الأبصار».

(إيكو، 2016، صفحة 7)

وكما ترى؛ هي رؤية مطابقة لما ذهب إليه فيدوح في تأويل الظاهرة الطللية؛ سواء من حيث معيار تقادما في الطرح والاشتغال أو من جهة استيفائها للطبيعة الفكرية والفلسفية، أو على اعتبار ما تمثله كحقيقة معيارية صارمة، تقوم مقام القاعدة الملزمة، علاوة على ما فيها من مكاشفة الوجدان واستشراف عوالم الروح؛ ممّا لا ينكره علينا ظلم مجحف، أو يسكت عنه مشغول منصف.

8. خاتمة:

- تأسيسا على ما سبق، نكون قد توصلنا إلى جملة من النتائج والتوصيات؛ أهمها ما يلي:
- جاءت المقاربة التأويلية للظاهرة الطللية في سياق مشروع كتاب: " القيم الفكرية والجمالية في شعر طرفة بن العبد " لعبد القادر فيدوح؛ كفصل ثالث في الكتاب، وليس موضوعا رئيسا فيه؛ موسوم بـ: " الإحساس بالضيق في صورة الطلل "، مما يجعله واقعا ضمن الهدف الكلي لمشروع الكتاب نفسه في إطار توجه فكري فلسفي مقصود، حاول من خلاله التأكيد على ما كان للعرب في جاهليتهم من نزوع واضح إلى ما هو فكري تأملي، على غرار المجتمعات المعاصرة لهم، على نقيض ما كان يعتقده الكثير من الدارسين.
  - حاول الناقد الجزائري عبد القادر فيدوح أن يقدم قراءة تأويلية حديثة، تستشرف الظاهرة الطللية وأبعادها الفكرية والجمالية بعيدا عن نمطية التفسيرات الكلاسيكية لها، وذلك بالتركيز على ما ذهب إليه النقاد المحدثون من الآفاق التأويلية الممكنة، من عرب وغربيين.
  - اعتمد عبد القادر فيدوح في تفسيره للظاهرة الطللية على مرتكزات وآليات تأويلية محددة رآها مناسبة لمقامه التأويلي ومحقة لما يريده من الأهداف والغايات؛ وهي:
  - تأسيس المقاربة التأويلية على مرتكز العودة إلى الأعراف الثقافية المتوارثة؛ ومنها الأعراف الشعرية العربية الجاهلية باعتبارها أنساقا ثقافية فنية متحكمة؛ والتي قدّمت له ما يحتاج إليه من مسوغات التفسير ومبرراته.
  - استقراء عناصر البنية اللغوية للسياق الطللي؛ بهدف الكشف عن الدلالات الظاهرة وتحديد حيزها الدلالي.
  - استدعاء التأويلات السابقة في بناء الموقف التأويلي من الظاهرة الطللية، كإجراء استرجاعي مسّحي، وقد مكّنه ذلك من تأسيس موقف تأويلي توفيقى جامع لها، يستند إلى ما قدّمه القدماء والمحدثون في هذا الشأن المعرفي؛ مما حقق له الإحاطة المقبولة بأهم جوانب الظاهرة وأبعادها، وسمح له بالكشف - كرونولوجيا - عن العوامل المعرفية والثقافية - الخارجية والداخلية - التي كان لها الأثر الواضح في تطور التفسيرات الطللية وإبراز تحولاتها.
  - تمثّل لآلية " التفلسف "؛ لارتباطها الآلي بالممارسة النقدية الحديثة؛ تحصيلاً لموقف الناقد ورؤية. ولازدياد الحاجة إليها في المقاربة التأويلية خاصة. على أن " عبد القادر فيدوح " يعدّ واحداً من أهم النقاد الجزائريين الذين يمثلون هذا الاتجاه النقدي " الهيرمينوطيقي - التأويلي " في التجربة الجزائرية النقدية الحديثة والمعاصرة. وينكشف هذا النزوع الفلسفي - جزئيا - في تأويل الظاهرة الطللية وبشكل أوضح حينما ربطها بالسؤالين الفلسفيين: السؤال الوجودي، وسؤال المصير، مراعيًا في ذلك بعدها النفسي والسوسيو - ثقافي.
  - تبوّ " عبد القادر فيدوح " منطلقات " أمبرتو إيكو " وآلياته في معالجته التأويلية للظاهرة الطللية؛ من ذلك: الاستئثار بالموضوعات القديمة باعتبارها وعاءً للحقيقة، والتدرج في مستويات التأويل من الظاهر المتناهي إلى الباطني اللامتناهي ضمن قراءة تأويلية مفارقة، مفتوحة على مجال [ الحقيقة ≠ اللاحقيقة ]، منتقلا في هذا المجال - درجة درجة - من الظاهر، فالمحتمل، فالممكن، غير أنه لم يتعدّاه إلى شيء من المزايدة والتقول بعده.
  - هذا؛ ونوصي بضرورة الاهتمام بالمدونة الشعرية الجاهلية، وإعادة محاورتها نقديا على ضوء المناهج الحديثة؛ لما يمكن أن تقدمه هذه المقاربات من مستويات قرائية مجدية، تغير موقفنا من العربي الجاهلي وعصره، وتعيد بناء تصوّر جديد مُنتج لشعريتنا العربية باعتبارها كفاءة مسجلة، وتفردا فنيا معلوما؛ لا نكاد نجده في الأمم الأخرى.

## 8. قائمة المراجع:

### أ. المصادر:

- ابن العبد، طرفة، الديوان، 2002، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية.

- فيدوح، عبد القادر ، 1998، القيم الفكرية والجمالية في شعر طرفة بن العبد، المنامة – البحرين، مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع.

#### ب. المراجع:

- إيكو، أمبرتو، 2016، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، تر: سعيد بنگراد، الدار البيضاء – المغرب، المركز الثقافي العربي.
- إيكو، أمبرتو، 1992، التأويل والتأويل المفرط، تر: ناصر الحلواني، حلب – سورية، مركز الإنماء العربي.
- بدوي، أحمد، زكي، 1982، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت – لبنان، مكتبة لبنان.
- بلوحي، محمد، 2004، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي/ بحث في تجليات القراءة السياقية / دراسة، دمشق – سورية، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- بوعزة، محمد، 2011، إستراتيجية التأويل / من النصية إلى التفكيكية، الرباط – المغرب، دار الأمان.
- الخازن، منير، وهيبة، د ت، معجم مصطلحات علم النفس، بيروت. لبنان، دار النشر للجامعيين.
- سعد، جلال الدين سعيد، 2004، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، تونس، دار الجنوب للنشر.
- صليبا، جميل، 1982، المعجم الفلسفي، بيروت – لبنان، دار الكتاب اللبناني.
- عدنان، سعيد، 1987، الاتجاهات الفلسفية في النقد الأدبي، بيروت – لبنان، دار الرائد العربي.
- مفتاح، محمد، 1994، التلقي والتأويل / مقاربة نسقية، بيروت – لبنان، المركز الثقافي العربي.
- يوسف، حنى، عبد الجليل، 2001، الشعر الجاهلي / قضايا، وفنون، ونصوص، القاهرة – مصر، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.

#### ج – الصفحات، والمواقع الإلكترونية:

- فيدوح، عبد القادر ، 26 مارس 2021، ندوة المنهج التأويلي / محاضرة مقدمة بتقنية التحاضر عن بعد، الجامعة اللبنانية، العنوان الإلكتروني: [ [youtuab.com/wath?V=KJZar3eoK2E](https://www.youtube.com/watch?v=KJZar3eoK2E) ]، لبنان، تاريخ المشاهدة: 14 أوت 2024.
- قناة الحرة الفضائية، التكاثر العذري أكثر شيوعا مما نتصور، الولايات المتحدة الأمريكية تاريخ النشر: 11 جوان 2023، العنوان الإلكتروني: [ [www.alhura.com](http://www.alhura.com) ]، تاريخ التصفح: 25 أوت 2024.